مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الرَّابِعَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْإِيمَانُ بِالشَّفَاعَةِ

وَقُـلْ: يُخْـرِجُ اللهُ الْعَظِـيمُ بِفَضْـلِهِ مِنَ النَّـارِ أَجْسَـادًا مِـنَ الْفَحْـمِ تُطْرَحُ
عَلَىٰ النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

قَالَ الْخَلِيلُ: لَا يُقَالُ الْجَسَدُ إِلَّا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ.

أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ: مِنَ الْفَحْمِ أَيْ: صَارُوا كَالْفَحْمِ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُمْ مِنَ الْفَحْمِ، الْفَحْمُ: الْجَمْرُ الطَّافِئُ، وَاحِدَتُهُ: فَحْمَةٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

كَحَبِّ: الْحَبُّ: بُذُورُ الْبُقُولِ.

حَمِيلُ السَّيْلِ: هُوَ مَا يَحْمِلُهُ السَّيْلُ.

وَالسَّيْلُ: الْمَاءُ الْمُنْحَدِرُ بِشِدَّةٍ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ طِينٍ.

فَإِذَا اتَّفَقَتْ فِيهِ الْحَبَّةُ، وَاسْتَقَرَّتْ عَلَىٰ شَطِّ مَجْرَىٰ السَّيْلِ فَإِنَّهَا تَنْبُتُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَهِيَ أَسْرَعُ نَابِتَةٍ نَبَاتًا.

كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ: أَيِ: امْتَلَأَوَارْتَفَعَ، وَإِنَاءٌ طَفْحَانُ: يَفِيضُ مِنْ جَوَانِبِهِ بِمَا فِيهِ.

فَذَكَرَ مَسْأَلَةً مِنْ أَهَمِّ الْمَسَائِلِ الَّتِي تُمَيِّزُ أَهْلَ السُّنَّةِ عَنِ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَهِيَ إِخْرَاجُ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ مِنَ النَّارِ، وَثُبُوتُ الشَّفَاعَةِ لِلنَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ، وَهَذَا مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُفَرَّقُ بِهِ بَيْنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ مِنْ جِهَةٍ، وَأَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ، وَهِيَ مَسْأَلَةُ الْفَاسِقِ الْمِلِّيِّ، مَسْأَلَةُ الْفَاسِقِ الْمِلِّيِّ، أَوْ حُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ، مَا حُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ؟

إِنَّ الْكَبِيرَةَ إِذَا كَانَتْ دُونَ الشِّرْكِ فَمَاتَ صَاحِبُهَا غَيْرَ تَائِبٍ مِنْهَا، وَمَاتَ مُصِرًّا عَلَيْهَا فَلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ أَمْرَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ -لَا شَأْنَ لِأَحَدٍ- رُبَّمَا عَفَا عَنْهُ، وَلَمْ يُعَذِّبْهُ، وَإِنْ عَذَّبَهُ؟

وَإِنْ عَذَّبَهُ فَأَدْخَلَهُ النَّارَ لَا يُخَلِّدُهُ فِي النَّارِ، فَمَنْ مَاتَ وَمَعَهُ أَصْلُ التَّوْحِيدِ، وَمَعَهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) -مَهْمَا أَتَىٰ بِهِ مِنْ ذَنْبٍ- فَإِنَّهُ إِذَا عُوقِبَ وَعُذِّبَ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمًا مِنَ النَّارِ.

هَذِهِ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْفَاسِقِ الْمِلِّيِّ، أَوْ فِي مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ.

الْخَوَارِجُ قَالُوا: لَا.

أَهْلُ السُّنَّةِ يَشْهَدُونَ لَهُ بِالْإِسْلَامِ، لَا يُخْرِجُونَهُ مِنَ الْإِيمَانِ، لَا يَقُولُونَ هَذَا كَافِرٌ، وَلَا يَتَوَقَّفُونَ فِيهِ، بَلْ يَقُولُونَ: هَذَا مُؤْمِنٌ عَاصٍ، أَوْ هَذَا مُؤْمِنٌ فَاسِقٌ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ.

هَذَا الْمَوْضِعُ مِنْ أَهَمِّ الْمَوَاضِعِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ زَلُّوا فِيهِ عَلَىٰ أَحَدِ فَرِيقَيْنِ: الْوَعِيدِيَّةُ، وَالْمُرْجِئِيَّةُ.

أَمَّا الْوَعِيدِيَّةُ: فَهُمُ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ، قَالُوا: مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ، يَخْرُجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ خُرُوجِهِ مِنَ الْمِلَّةِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الْمُرْتَدِّ مِنَ الْأَحْكَامِ؛ لِذَلِكَ -مَثَلًا- فِي قَضِيَّةِ الْعَصْرِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، يُكَفِّرُونَ، وَيُرَتِّبُونَ الْأَحْكَامَ عَلَىٰ التَّكْفِيرِ، يَسْتَحِلُّونَ الدِّمَاءَ وَالْفُرُوجَ وَالْأَمْوَالَ، وَيُعَامِلُونَ الْمُسْلِمَ الَّذِي يَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ -لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَوْ لِغَيْرِهَا- مُعَامَلَةَ الْمُرْتَدِّ، وَيَكُونُ عِنْدَهُمْ أَسْوَأَوَأَشَدَّ كُفْرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيَقُولُونَ: أَهْلُ الْكِتَابِ لَهُمْ كِتَابٌ، وَيَتَّبِعُونَ نَبِيًّا، وَإِنْ كَانُوا كَذَبَةً فِي اتِّبَاعِهِمْ، مُحَرِّفِينَ لِكِتَابِ رَبِّهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ فِي النِّهَايَةِ لَهُمْ أَحْكَامُهُمْ فِي الشَّرِيعَةِ!! فَيَقُولُونَ: هُمْ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُرْتَدِّينَ.

وَلِذَلِكَ تَجِدُ التَّكْفِيرِيِّينَ يُصَرِّحُونَ، وَيَفْعَلُونَ عَلَىٰ حَسَبِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ: أَنَّ الْجَيْشَ عِنْدَهُمْ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ، فَهُوَ أَشَدُّ كُفْرًا مِنَ الْيَهُودِ؛ لِذَلِكَ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ لَا يَبْدَأُونَ بِالْيَهُودِ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَإِنَّمَا يَبْدَأُونَ بِالْمُرْتَدِّينَ، وَلَوْ وَقَعَ قِتَالٌ بَيْنَ الْمُرْتَدِّينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانُوا مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ ضِدَّ الْمُرْتَدِّينَ.

كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الزَّلَلِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَهِيَ: الْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ، أَوْ مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ.

فَالْخَوَارِجُ يُكَفِّرُونَهُ، وَبِالتَّالِي يَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ.

الْمُعْتَزِلَةُ قَالُوا: لَا، إِذَا ارْتَكَبَ الْمُسْلِمُ كَبِيرَةً فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْكُفْرِ، فَهُوَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، كَمَا قَالَ شَيْخُهُمْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ قَالُوا: إِنَّ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ، أَوْ إِنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ -يَعْنِي: لَا هُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا هُوَ كَافِرٌ-، فَقَالُوا: إِنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْكُفْرَ.

هَذَا إِذَا مَاتَ: أَيْنَ نَدْفِنُهُ؟

يَعْنِي: لَا هُوَ كَافِرٌ، وَلَا هُوَ مُسْلِمٌ نَدْفِنُهُ فِي قَبْرٍ بَيْنَ قَبْرَيْنِ؟!

يَعْنِي: مَاذَا نَصْنَعُ بِمِثْلِ هَذَا؟!

وَلَكِنَّهُمُ اتَّفَقُوا مَعَ الْخَوَارِجِ فِي أَنَّهُ خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ.

إِذَنِ: الْمَآلُ وَاحِدٌ عِنْدَ الْفِرْقَتَيْنِ -الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ- الْمَآلُ وَاحِدٌ، وَأَمَّا الْحُكْمُ فِي الدُّنْيَا:

فَالْخَوَارِجُ يَقُولُونَ: كَافِرٌ خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَىٰ الْكُفْرِ، كَافِرٌ مُرْتَدٌّ.

الْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْكُفْرَ، وَهُوَ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ.

أَهْلُ السُّنَّةِ قَالُوا: لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْإِيمَانِ أَصْلًا؛ هُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنْ مُؤْمِنٌ فَاسِقٌ بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ.

احْفَظْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، هَذَا حُكْمُ الْفَاسِقِ الْمِلِّيِّ، فَأَثْبَتُوا لَهُ الْإِيمَانَ، وَلَكِنْ لَمْ يُثْبِتُوا لَهُ الْإِيمَانَ الْمُطْلَقَ.

الْإِيمَانُ الْمُطْلَقُ: هُوَ الَّذِي لَا مَعْصِيَةَ مَعَهُ، فَقَالُوا: هُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنْ هُوَ مُؤْمِنٌ مُطْلَقُ الْإِيمَانِ، فَأَثْبَتُوا لَهُ مُطْلَقَ الْإِيمَانِ، وَنَفَوْا عَنْهُ الْإِيمَانَ الْمُطْلَقَ، وَلَكِنَّهُ مُؤْمِنٌ؛ وَلِذَلِكَ لَمَّا شَرَحُوا حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» قَالُوا: وَهُوَ مُؤْمِنٌ إِيمَانًا كَامِلًا يَحْجُزُهُ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْفَاحِشَةِ، وَلَكِنْ: هَلْ إِذَا وَقَعَ فِي الزِّنَا يَكُونُ كَافِرًا؟

قَالُوا: لَا، الْخَوَارِجُ يَقُولُونَ: كَافِرٌ.

وَالْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ.

فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْوَعِيدِيَّةُ: الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ.

وَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ الْوَعْدِيَّةُ: فَهُمْ فِي الطَّرَفِ الْمُقَابِلِ، هَؤُلَاءِ قَالُوا: إِنَّ الْإِيمَانَ أَصْلٌ وَاحِدٌ هُوَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَقَالُوا: إِيمَانُ أَفْجَرِ النَّاسِ كَإِيمَانِ أَتْقَىٰ النَّاسِ، وَإِيمَانُ أَشَدِّ النَّاسِ فُجُورًا كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ.

قَالُوا: الْإِيمَانُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ.

وَعَلَيْهِ: فَالْأَعْمَالُ عِنْدَهُمْ لَا تَزِيدُ فِي الْإِيمَانِ إِذَا عُمِلَتْ -يَعْنِي الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ-، وَالْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ لَا تَنْقُصُ مِنَ الْإِيمَانِ، فَهُمْ يَقُولُونَ بِعَدَمِ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَلَا نُقْصَانِهِ، فَهَؤُلَاءِ جَرَّءُوا الْخَلْقَ عَلَىٰ الرَّبِّ جَلَّوَعَلَا، تَقُولُ: أَنْتَ عِنْدَكَ الْإِيمَانُ، وَالَّذِينَ غَلَوْا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُرْجِئَةِ يَقُولُونَ: مُجَرَّدُ أَنْ تُصَدِّقَ بِالْقَلْبِ بِوُجُودِ الرَّبِّ لَيْسَ شَرْطًا أَنْ تَنْطِقَ بِاللِّسَانِ بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

حَتَّىٰ هَذِهِ؟!

يَقُولُونَ: لَيْسَ شَرْطًا، وَإِذَا مَاتَ عَلَىٰ هَذَا التَّصْدِيقِ، يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِيمَانَ مُطْلَقُ التَّصْدِيقِ، فَإِذَا صَدَّقَ بِوُجُودِ الرَّبِّ وَالشَّرْعِ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَبِالتَّالِي لَا يَأْتِي بِأَيِّ عَمَلٍ قَطُّ إِذَا كَانَ لَا يَنْطِقُ بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، قَالُوا: هَذَا مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ، هَذَا إِيمَانُكَ إِيمَانُ جِبْرِيلَ، وَإِيمَانُ مُحَمَّدٍ ﷺ!!!

هَذِهِ فِرْقَةٌ ضَالَّةٌ، مُتَسَيِّبَةٌ مُنْحَلَّةٌ، وَهَذِهِ فِرْقَةٌ ضَالَّةٌ قَاسِيَةٌ شَاذَّةٌ؛ فَهَؤُلَاءِ يُكَفِّرُونَ، وَهَؤُلَاءِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ يُكَفِّرُ.

أَهْلُ السُّنَّةِ أَيْنَ؟

بَيْنَ هَذَيْنِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ فَضِيلَةٌ بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ، وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ كُلَّ فَضِيلَةٍ إِنَّمَا هِيَ وَسَطٌ بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ؛ الشَّجَاعَةُ -مَثَلًا- وَسَطٌ بَيْنَ التَّهَوُّرِ وَالْجُبْنِ، الْجُودُ وَالْكَرَمُ وَسَطٌ بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالْبُخْلِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ فَضِيلَةٍ فَهِيَ وَسَطٌ بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ بَيْنَ هَذَيْنِ الطَّرَفَيْنِ الْمُتَقَابِلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَهُمْ يَقُولُونَ بِتَأْثِيرِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ فِي الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَنْقُصُ بِفِعْلِ السَّيِّئَاتِ كَمَا يَزِيدُ بِفِعْلِ الصَّالِحَاتِ.

فَقَالُوا: إِنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ تُؤَثِّرُ فِيهِ كَبِيرَتُهُ، تُؤَثِّرُ فِي إِيمَانِهِ، لَمْ يَنْفُوا تَأْثِيرَ الْكَبِيرَةِ فِي إِيمَانِ الْمُؤْمِنِ، فَقَالُوا: إِنَّهُ يَفْسُقُ بِكَبِيرَتِهِ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ.

فَنُثْبِتُ لَهُ مُطْلَقَ الْإِيمَانِ، وَلَا نُثْبِتُ لَهُ الْإِيمَانَ الْمُطْلَقَ، وَإِذَا مَاتَ فَلَهُ عِنْدَ اللهِ حَالَانِ:

الْحَالُ الْأُولَىٰ: أَنْ يَغْفِرَ لَهُ -لَا شَأْنَ لَنَا- يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ، قَدْ يَغْفِرُ لَهُ، هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَإِذَا عَذَّبَهُ فَإِنَّهُ مُسْلِمٌ عُذِّبَ بِالنَّارِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ.

الْوَعِيدِيَّةُ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ يَقُولُونَ: يَدْخُلُ النَّارَ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا.

الْمُرْجِئَةُ يَقُولُونَ: مَهْمَا فَعَلَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ؛ أَصْلًا عِنْدَهُ أَصْلُ الْإِيمَانِ.

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَسْأَلَةُ الْعُصَاةِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ كَبَائِرُ، وَلَكِنْ دُونَ الشِّرْكِ هَؤُلَاءِ يُعْتَبَرُونَ مُؤْمِنِينَ مُوَحِّدِينَ، وَلَكِنَّ إِيمَانَهُمْ وَتَوْحِيدَهُمْ نَاقِصٌ، فَإِنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ خِلَافًا لِلْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، فَهُمْ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ: إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَلَمْ يُعَذِّبْهُمْ، وَدَخَلُوا الْجَنَّةَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، لَكِنَّهُمْ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ كَمَا يُخَلَّدُ الْكَافِرُ وَالْمُشْرِكُ، وَإِنَّمَا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ

بَعْدَ تَعْذِيبِهِمْ؛ إِمَّا بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، وَإِمَّا بِفَضْلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِمَّا بِانْتِهَاءِ عَذَابِهِمْ، وَلَكِنْ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَطْعًا كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ.

النَّارُ يَدْخُلُهَا الْكَافِرُ وَالْمُشْرِكُ، وَقَدْ يَدْخُلُهَا الْمُؤْمِنُ الْمُوَحِّدُ بِذُنُوبِهِ، لَكِنَّ الْكَافِرَ وَالْمُشْرِكَ يُخَلَّدَانِ فِي النَّارِ، وَأَمَّا الْمُوَحِّدُ وَالْمُؤْمِنُ فَلَا يَخْلُدُ فِيهَا إِذَا دَخَلَهَا.

هَذِهِ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ فِيمَنْ يَمُوتُ مُرْتَكِبًا لِلْكَبِيرَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خِلَافًا لِلْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ.

الْخَوَارِجُ يَقُولُونَ: مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، وَإِذَا مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ فَهُوَ خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ مِثْلَ الْكُفَّارِ.

هَؤُلَاءِ قَوْمٌ حَمْقَىٰ؛ لِأَنَّهُ يُقَامُ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلُ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ رَحِمَهُ اللهُ: الْخَارِجِيُّ عِنْدَمَا يَقُولُ مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ، هَذَا يُلْغِي الْحُدُودَ كُلَّهَا، هَذَا وَاضِحٌ! يَعْنِي عِنْدَمَا يَقُولُ الْخَارِجِيُّ: مَنِ ارْتَكَبَ كَبِيرَةً كَفَرَ.. ارْتَدَّ، مَا حُكْمُ الْمُرْتَدِّ؟

الْقَتْلُ.

طَيِّبٌ؛ الَّذِي يَسْرِقُ؟ إِذَا قَالُوا: تُقْطَعُ يَدُهُ.

قُلْنَا إِنَّمَا تُقْطَعُ يَدُ مَنْ؟

الْمُسْلِمُ، وَهُوَ قَدْ سَرَقَ -يَعْنِي وَقَعَ فِي كَبِيرَةٍ-، فَحُكْمُهُ أَنَّهُ مُرْتَدٌّ.

فَإِذَنْ: نَقْطَعُ يَدَهُ أَمْ نَقْتُلُهُ؟

عَلَىٰ حَسَبِ حُكْمِهِمْ هُمْ: أَنَّهُ يُقْتَلُ.

إِذَنْ: لَيْسَ هُنَاكَ قَطْعٌ لِأَيْدِي السَّرَقَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْقَتْلُ -عِنْدَ الْخَوَارِجِ-، وَقِسْ عَلَىٰ ذَلِكَ سَائِرَ الْحُدُودِ.

إِذَا زَنَا مَنْ لَيْسَ بِمُحْصَنٍ، الْبِكْرُ إِذَا زَنَا حُكْمُهُ: أَنَّهُ يُجْلَدُ مِئَةَ جَلْدَةٍ، وَيُغَرَّبُ عَنْ وَطَنِهِ عَامًا هَذَا حَدُّهُ، وَحَدُّ الزَّانِي الْبِكْرِ -عِنْدَ الْخَوَارِجِ- الزِّنَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَالْخُرُوجُ مِنَ الْمِلَّةِ رِدَّةٌ، وَحُكْمُ الْمُرْتَدِّ مَاذَا؟

الْقَتْلُ.

إِذَنْ: نَقْتُلُهُ أَمْ نَجْلِدُهُ؟

إِذَا قَالُوا: نَجْلِدُهُ، قُلْنَا لَهُمْ: تَنَاقَضْتُمْ؛ لِأَنَّكُمْ تُثْبِتُونَ الْإِيمَانَ لِمُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ.

وَإِذَا قَالُوا: نَقْتُلُهُ، قُلْنَا لَهُمْ: أَلْغَيْتُمْ حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللهِ، وَالَّذِي يُلْغِي حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللهِ يَكُونُ كَافِرًا.

فَحُكْمُهُمْ هُمْ مَاذَا يَكُونُ حِينَئِذٍ؟

حَمْقَىٰ؛ كُلُّ مَنْ تَرَكَ السُّنَّةَ تَنَاقَضَ.

السُّنَّةُ هِيَ الْعَقْلُ، وَعَلَىٰ قَدْرِ تَمَسُّكِكَ بِالسُّنَّةِ يَكُونُ عَقْلُكَ، وَيَزِيدُ اللهُ فِي عَقْلِكَ عَلَىٰ قَدْرِ تَمَسُّكِكَ بِسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ.

كُلُّ مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ تَنَاقَضَ، احْفَظْ هَذِهِ فَهِيَ مِنْ كَلَامِ سَلَفِكَ الصَّالِحِينَ؛ كُلُّ مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ تَنَاقَضَ، فَيَقُولُ الْيَوْمَ قَوْلًا وَيَنْقُضُهُ غَدًا، وَيَنْقُضُ مَا صَارَ إِلَيْهِ غَدًا بَعْدَ غَدٍ، مُتَنَاقِضٌ لَيْسَ عِنْدَهُ أَصْلٌ ثَابِتٌ، أَمَّا الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالسُّنَّةِ: قَالَ اللهُ، قَالَ الرَّسُولُ، قَالَ الصَّحَابَةُ؛ فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ التَّنَاقُضُ؟

هِيَ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، فَلَا يَتَنَاقَضُونَ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ لَا يَتَنَاقَضُونَ، الَّذِينَ يَتَنَاقَضُونَ هُمُ الْمُبْتَدِعَةُ فِي كُلِّ وَقْتٍ لَهُمْ قَوْلٌ، وَفِي كُلِّ حَالٍ لَهُمْ مَقَالٌ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَثَابِتُونَ.

وَأَنْتَ -كَمَا مَرَّ- تَجِدُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَاحِدَةً مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْيَوْمِ، وَإِلَىٰ أَنْ يَرْفَعَ اللهُ الْقُرْآنَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مِنَ الصُّدُورِ وَالسُّطُورِ، وَلَا يَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ مَنْ يَقُولُ: اللهُ... اللهُ.

ثَابِتَةٌ.. عَقِيدَةٌ وَاحِدَةٌ؛ لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَافٌ، وَلَا حَرْفٌ، عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَقُولُهَا الرَّجُلُ فِي أَقْصَىٰ الشَّرْقِ، كَمَا يَقُولُهَا الرَّجُلُ فِي أَقْصَىٰ الْغَرْبِ، وَلَمْ يَلْتَقِيَا قَطُّ، بَلْ فِي عُصورٍ مُتَبَاعِدَةٍ بِمِئَاتِ السِّنِينَ، وَلَكِنْ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ فِي أَقْصَىٰ الشَّمَالِ كَمَا فِي أَقْصَىٰ الْجَنُوبِ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا: قَالَ اللهُ، وَقَالَ رَسُولُهُ، قَالَ الصَّحَابَةُ؛ هَذَا لَا يَتَغَيَّرُ.

فَالْخَوَارِجُ هَؤُلَاءِ حَمْقَىٰ؛ وَلِذَلِكَ إِذَا قُدِّرَ لَكَ أَنْ تَلْقَىٰ خَارِجِيًّا، فَاللهُ يُعِينُكَ مِنْ حَمَاقَتِهِ، وَانْغِلَاقِ عَقْلِهِ وَشَرَاسَتِهِ، كَأَنَّكَ تُكَلِّمُ ثَوْرًا هَائِجًا...!

اهْدَأْ؛ فَإِنَّ ارْتِفَاعَ الصَّوْتِ وَالْحِدَّةَ فِي الْكَلَامِ لَا تُحِقُّ حَقًّا، وَلَا تُبْطِلُ بَاطِلًا، يَعْنِي أَنْتَ لَنْ تَغْلِبَ مُنَاظِرَكَ وَخَصْمَكَ بِرَفْعِ صَوْتِكَ، ارْفَعْ مَا شِئْتَ؛ الْحَقُّ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَلْزَمُكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَكَ، يَضُرُّكَ أَنْ تَرْفَعَ صَوْتَكَ.

الْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ هَكَذَا، هَذَا عِنْدَ الْمُنَاظَرَةِ، وَأَمَّا عِنْدَ التَّقْرِيرِ فَهَذَا شَيْءٌ آخَرُ، عِنْدَ الْمُنَاظَرَةِ ارْتِفَاعُ الصَّوْتِ وَالْحِدَّةُ فِي الْكَلَامِ لَا تُحِقُّ حَقًّا، وَلَا تُبْطِلُ بَاطِلًا.

فَأَيْنَ هُوَ الْحَقُّ؟

فَإِذَا قُدِّرَ عَلَيْكَ.. عَلَيْكَ لَا لَكَ أَنْ تَلْقَىٰ خَارِجِيًّا، وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ كَلَامٌ، فَاللهُ يُعِينُكَ؛ انْغِلَاقٌ فِي الْعَقْلِ، وَضِيقٌ فِي الْأُفُقِ، وَحَرَجٌ فِي الصَّدْرِ -أَعُوذُ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ-، مَا هَذَا؟

هَا، كُنْتُ نَاظَرْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ قَدِيمًا مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ عَامًا -بَلْ يَزِيدُ-، وَكَانَ فِي مَدِينَةِ الْبُعُوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَبَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ انْصَرَفْتُ مُسْرِعًا، وَجَاءَ بَعْضُ إِخْوَانِنَا مِنَ الطُّلَّابِ قَالُوا: هُنَا رَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ، أَخَذَ يَسُبُّ الرَّئِيسَ السَّادَاتَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، وَكَانَ إِمَامًا وَخَطِيبًا فِي الْمَسْجِدِ، فَعَاقَبُوهُ.. عَاقَبَهُ الْمَسْئُولُونَ فِي الْأَوْقَافِ بِأَنْ وَقَفُوهُ، وَأَحَالُوهُ إِلَىٰ التَّحْقِيقِ، يَعْنِي يَسُبُّ فِي الْعِرْضِ؛ لِأَمْرٍ كَانَ يُشِيعُهُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي زِيَارَةِ رَئِيسٍ أَمْرِيكِيٍّ،

وَإِحْدَاثِ شَيْءٍ إِلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَقَفَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ يَسُبُّ رَئِيسَ الْجُمْهُورِيَّةِ، فَأَضْعَفُ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْخَذَ مَعَهُ، وَلَمْ تَكُنِ الْأَحْكَامُ أَحْكَامُ الطَّوَارِئِ قَدْ فُرِضَتْ بَعْدُ، وَكَانَتْ هُنَاكَ فُسْحَةٌ لِلْكَلَامِ وَالْحَرَكَةِ وَالْمَقَالِ، فَوَقَفَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، وَسَبَّ الرَّئِيسَ السَّادَات فِي عِرْضِهِ: هَلْ هَذَا مِنْ دِينِ اللهِ؟

لَا يُحَالُ مِثْلُ هَذَا إِلَىٰ مَرْءُوسِيهِ فِي الْأَوْقَافِ؛ لِيُحَقِّقُوا مَعَهُ، بَلْ هَذَا يُحَالُ إِلَىٰ الْمَحْكَمَةِ الشَّرْعِيَّةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَامَ عَلَيْهِ حَدُّ الْقَذْفِ، وَيُعَزَّرَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحَدِّ؛ لِأَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْ عَدَمِ الْفُحْشِ فِي الْكَلَامِ، وَعَدَمِ الْقَذْفِ لِلْأَعْرَاضِ، وَيُعَلِّمُ النَّاسَ؛ يُعَلِّمُهُمْ مِثْلَ هَذَا؟!!

وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا حُوِّلَ لِلتَّحْقِيقِ، وَكَانَ كَفِيفًا جَاءَ فِي نَفْسِهِ مَا جَاءَ، فَصَارَ إِلَىٰ التَّكْفِيرِ، فَصَارَ يُكَفِّرُ جُزَافًا، لَهُ قَرِيبٌ كَانَ مَوْجُودًا فِي مَدِينَةِ الْبُعُوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ.

الْمُدُنُ الْجَامِعِيَّةُ -كَمَا تَعْلَمُونَ- يَأْتِي فِيهَا اللَّحْمُ، وَأَحْيَانًا يَكُونُ مِنْ لُحُومِ الطُّيُورِ الْمَذْبُوحَةِ، وَكَذَلِكَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمَذْبُوحَةِ، وَيَأْتِي هَذَا الطَّعَامُ، وَيُصْرَفُ لِلطُّلَّابِ، هُوَ يُكَفِّرُ؛ إِذَنْ: هَذَا اللَّحْمُ إِذَا كَانَ هُوَ مُتَّسِقًا مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُعْتَقَدِ لَا يَأْكُلُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ ذَبِيحَةِ الْكَافِرِ، وَيُكَفِّرُ الْعُمُومَ، جَاءَ مِنَ الرَّأْسِ إِلَىٰ الْفَرْعِ، كَفَّرَ الْجَمِيعَ حَتَّىٰ الَّذِينَ كَانَ مَعَهُمْ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ صَلَاةَ الظُّهْرِ، يُصَلِّي وَحْدَهُ، يُصَلِّي مُنْفَرِدًا!!

الْمُهِمُّ: لَمَّا يَسَّرَ اللهُ وَلَقِيتُهُ فِي جَمْعٍ مِنَ الطُّلَّابِ تَحَلَّقُوا حَوْلَهُ، أَنَا قُلْتُ: النِّقَاشُ مَعَ هَؤُلَاءِ غَيْرُ مُجْدٍ، وَأَسْلَمُ شَيْءٍ أَنْ تَأْتِيَ بِضَرْبَةٍ فِي الْمِحَزِّ، وَتَفْصِلَ الْعُضْوَ، وَيَنْتَهِيَ الْأَمْرُ، كَيْفَ يَكُونُ هَذَا فِي الْأَزْهَرِ؟!

بِأَنْ أَسْأَلَهُ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، قُلْتُ لَهُ: مَا حُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ عِنْدَكَ؟

قَالَ: كُفَّارٌ!!

فَهَمَّ بِهِ الطُّلَّابُ، أَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ، فَأَخَذْتُ أَنَا أُدَافِعُ عَنْهُ: دَعُوهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ أَمَامَهُمْ: هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَرِيَ شَيْئًا، فَأَذْهَبَ مِنْ أَجْلِ أَنْ أَشْتَرِيَ لَكَ؟ وَكَانَتْ مَدِينَةُ الْبُعُوثِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نَائِيَةً عَلَىٰ طَرِيقِ (صَلَاح سَالِم) بَيْنَ الْمَقَابِرِ؛ وَمِنْ أَجْلِ أَنْ تَأْتِيَ بِطَعَامٍ فِي الْعَشَاءِ خَاصَّةً تَسِيرُ طَرِيقًا طَوِيلًا مُظْلِمًا مُوحِشًا، لَا إِنَارَةَ فِيهِ، وَهُوَ نَازِلٌ هَذَا الطَّرِيقُ؛ لِأَنَّهَا عَلَىٰ شِبْهِ هَضْبَةٍ أَوْ جَبَلٍ، فَإِذَا نَزَلْتَ -مَثَلًا- إِلَىٰ مَيْدَانِ (أَحْمَد سَعِيد) أَوْ مَيْدَانِ (عَبْدُه بَاشَا)؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَشْتَرِيَ طَعَامًا فَفِي ظُلْمَةٍ مُظْلِمَةٍ مُدْلَهِمَّةٍ حَالِكَةٍ، وَقَدْ لَا تَأْمَنُ عَلَىٰ نَفْسِكَ.

فَأَنَا قُلْتُ لَهُ: هَلْ تُحِبُّ أَنْ آتِيَ لَكَ بِطَعَامٍ؟ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَطِيعٍ بِنَفْسِهِ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ فِيهِ مَا فِيهِ، لَا بَأْسَ.

فَقَالَ: لَا.

قُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ سَتَأْكُلُ؟!

www.menhag-un.com

قَالَ: أَنَا أَنْزِلُ عِنْدَ فُلَانٍ وَهُوَ قَرِيبٌ لِي، أَوْ صَاحِبٌ لِي، وَعِنْدَهُ -بِطَرِيقَةِ وَأُسْلُوبِ الطُّلَّابِ فِي الْجَامِعَةِ، فِي الْمَدِينَةِ- يَقُولُ: وَعِنْدَهُ (بُون) زِيَادَة؛ فَسَوْفَ يَأْتِي لِي بِطَعَامٍ.

قُلْتُ: أَتَأْكُلُ لُحُومَ الْحَيَوَانَاتِ الْمَذْبُوحَةِ بِأَيْدِي الْكُفَّارِ؟!

فَأُبْلِسَ.

نُبِّئْتُ بَعْدَهَا -هَذَا مَوْطِنُ الشَّاهِدِ-، نُبِّئْتُ بَعْدَهَا أَنَّهُ قَالَ بِالْعَامِّيَّةِ كَمَا نُقِلَ إِلَيَّ قَالَ: أَمَّا هَذَا لَوْ أَسْلَمَ، لَكَانَ آيَةً...!!

لَوْ أَسْلَمَ!! عَلَىٰ طَرِيقَتِهِ يَعْنِي!!

عُقُولٌ مُنْغَلِقَةٌ، لَا يَنْفَعُ مَعَها حُجَّةٌ، فَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: مَنْ كَذَبَ دَخَلَ النَّارَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا، مَنْ قَتَلَ نَقْتُلُهُ رِدَّةً لَا حَدًّا وَلَا قِصَاصًا، وَكَذَلِكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالسَّرِقَةِ لَا نُقِيمُ عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنَّمَا نَقْتُلُهُ!

اللهُ ﷻ أَرْحَمُ بِهِ مِنْكَ، اللهُ ﷻ قَضَىٰ بِأَنَّ الزَّانِيَ الْبِكْرَ يُجْلَدُ مِئَةَ جَلْدَةٍ، وَأَنَّ السَّارِقَ تُقْطَعُ يَدُهُ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُدُودِ، وَأَنَّ مَنْ قَذَفَ مُسْلِمًا أَوْ مُسْلِمَةً يُجْلَدُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، وَأَنْتَ تَقُولُ: يُقْتَلُ؟!

إِذَنْ أَنْتَ تُلْغِي الْحُدُودَ، وَإِلْغَاءُ الْحُدُودِ كُفْرٌ بِالرَّبِّ الْمَعْبُودِ، فَحَتَّىٰ هَذَا الْمُتَشَدِّدُ لَا يَنْجُو مِنْ تَشَدُّدِهِ، وَهِيَ مِنْ عُقُوبَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِكُلِّ مُنْحَرِفٍ أَنَّ انْحِرَافَهُ لَا بُدَّ أَنْ يُطَبَّقَ عَلَيْهِ، وَأَنَّ تَشَدُّدَهُ وَغُلُوَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَنْزِلَ سُوءُهُ عَلَىٰ أُمِّ رَأْسِهِ مِنْ حِكَمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ!

كَمَا فِي الْمُقَابِلِ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَ اللهِ عَذَّبَهُ اللهُ بِمَنْ أَحَبَّ وَلَا بُدَّ؛ وَلِذَلِكَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَبْنَاءَهُمْ مَحَبَّةً غَيْرَ شَرْعِيَّةٍ، يَعْنِي يَكُونُ هَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءُ سَبَبًا فِي تَقْصِيرِهِمْ فِي حَقِّ اللهِ، أَوْ فِي إِهْمَالِهِمْ لِدِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيُمْضُونَ حَيَوَاتِهِمْ جَمِيعَهَا مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءِ، يُعَذِّبُهُمُ اللهُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا عَلَتْ بِهِمُ السِّنُّ أَهْمَلُوهُمْ، وَرُبَّمَا تَخَلَّصُوا مِنْهُمْ، وَأَخَذُوا الْمَالَ الَّذِي جَمَعُوهُ فَتَمَتَّعُوا بِهِ، وَلَمْ يُنْفِقُوا مِنْهُ دِرْهَمًا وَاحِدًا لَا عَلَىٰ عِلَاجِهِمْ وَلَا عَلَىٰ مَأْوَاهُمْ، وَلَا عَلَىٰ كِسْوَتِهِمْ، وَيُهَانُونَ غَايَةَ الْإِهَانَةِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا؛ فَيُعَذِّبُهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِذَلِكَ.

إِيَّاكَ أَنْ تُقَدِّمَ أَحَدًا عَلَىٰ اللهِ، أَوْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ!! عُذِّبْتَ بِهِ لَا مَحَالَةَ، وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْحَمْقَىٰ مِنَ الْخَوَارِجِ.

الْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْكُفْرِ.

أَيْنَ يَذْهَبُ هَذَا؟

يَقُولُونَ: فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ فَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ.

كِلَا الْمَذْهَبَيْنِ بَاطِلٌ، وَضَالٌّ، وَمُخَالِفٌ لِلْأَدِلَّةِ.

قَالَ النَّاظِمُ: مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ عَلَىٰ النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ: يَقُولُ: هَذِهِ الْأَجْسَادُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِذَا أُخْرِجَتْ مِنَ النَّارِ تَخْرُجُ كَالْفَحْمِ مُحْتَرِقَةً، وَأَنَّ نَارَ الدُّنْيَا هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ، نَارُنَا هَذِهِ فِي الدُّنْيَا.. هَذِهِ النَّارُ الَّتِي تَعْرِفُهَا فِي الدُّنْيَا جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ، نَارُ الْآخِرَةِ تَزِيدُ عَلَىٰ نَارِ الدُّنْيَا هَذِهِ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، أَيْ: ضِعْفًا وَمِثْلًا، فَإِذَا

أُدْخِلَ النَّارَ لَا يُدْخَلُ عَلَىٰ هَيْئَتِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِلَّا الْإِنْسَانُ لَا يَتَحَمَّلُ هَذَا، وَلَكِنْ يَبْقَىٰ عَلَىٰ حَالِهِ مُعَذَّبًا، وَلَكِنْ يَحْتَرِقُ يَخْرُجُ فَحْمًا فَمَاذَا يُصْنَعُ بِهِ؟

عَلَىٰ النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

كَمَا بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَىٰ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ.

كَمَا تَرَىٰ أَنْتَ فِي مَجْرَىٰ الْمَاءِ، وَتَجِدُ حَبَّةً وَهِيَ أَسْرَعُ النَّبَاتِ نَبَاتًا، وَتَمِيلُ جِهَةَ الشَّمْسِ فَمَا يَكُونُ جِهَةَ الشَّمْسِ يَكُونُ أَخْضَرَ، وَمَا لَا يَكُونُ جِهَةَ الشَّمْسِ يَكُونُ أَصْفَرَ، كُلُّ مَنْ عَالَجَ فِلَاحَةَ الْأَرْضِ يَعْرِفُ مَا أَقُولُ، فَتَنْبُتُ كَالْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ضَبَائِرَ جَمَاعَاتٍ مُحْتَرِقِينَ، يُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يُسَمَّىٰ: نَهْرَ الْحَيَاةِ، فَيَحْيَوْنَ كَمَا يَحْيَا الْحَبُّ الَّذِي يَحْمِلُهُ السَّيْلُ يَطْفَحُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسْتَقِرُّ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يَنْبُتُ، وَيُصْبِحُ شَجَرًا حَيًّا.

وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ: حَقٌّ مُوَضَّحُ

ذَكَرَ النَّاظِمُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعَةِ مَا مَرَّ، وَهَذَا الْبَيْتُ: سُؤَالُ الْمَلَكَيْنِ، وَذَكَرَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَنَعِيمَهُ، وَذَكَرَ حَوْضَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ذَكَرَ الْمِيزَانَ، ذَكَرَ مَسْأَلَةَ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَذَكَرَ الشَّفَاعَةَ فِي هَذَا الْبَيْتِ.

www.menhag-un.com

مَعْنَى الشَّفَاعَةِ

وَإِنَّ رَسُـــولَ اللهِ لِلْخَلْـــقِ شَـــافِعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ: حَقٌّ مُوَضَّحُ

الشَّفَاعَةُ: مَعْنَاهَا الْوَسَاطَةُ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ عِنْدَ مَنْ هِيَ عِنْدَهُ.

وَالشَّفَاعَةُ تَكُونُ عِنْدَ اللهِ، وَتَكُونُ عِنْدَ النَّاسِ، الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللهِ تَخْتَلِفُ عَنِ الشَّفَاعَةِ عِنْدَ النَّاسِ.

النَّاسُ: يَشْفَعُ عِنْدَهُمُ الشَّافِعُونَ وَإِنْ لَمْ يَأْذَنُوا لَهُمْ.

اللهُ ﷻ: لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فَيَأْذَنُ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، أَيْ: مِنْ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ، وَهُوَ الَّذِي يُحَدِّدُهُ لَكَ ﷺ، يَعْنِي الْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ مَفْتُوحَةً هَكَذَا، لَنْ يَشْفَعَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ، وَلَنْ يَشْفَعَ إِلَّا فِي مَنْ أَذِنَ اللهُ أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ.

هَذَا مُهِمٌّ؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا أَرَادَ أَنْ يَشْفَعَ فِي كَافِرٍ، الشَّفَاعَةُ فِي الْكَافِرِ غَيْرُ وَارِدَةٍ، لَمْ يُشْفَعْ إِلَّا فِي كَافِرٍ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ جَمِيعًا، وَهُوَ أَبُو طَالِبٍ عَمُّ رَسُولِ اللهِ، وَشُفِعَ فِيهِ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ، لَا فِي الْإِخْرَاجِ مِنَ النَّارِ؛ هُوَ أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ

عَذَابًا لِمَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْمُنَاصَرَةِ وَالْمُؤَازَرَةِ لِلْإِسْلَامِ وَلِلنَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنْ لَا يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ، لَهُ نَعْلَانِ مِنَ النَّارِ جَمْرَتَانِ فِي أَخْمَصَيْ قَدَمَيْهِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَشَدُّ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، وَهُوَ أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا -نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ-.

إِذَنْ: لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَشْفَعُ إِلَّا فِيمَنْ أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ فِيهِ، يُحَدِّدُهُ لَهُ.

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، يَعْنِي: مِنْ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ، أَمَّا الْكَافِرُ فَلَا شَفَاعَةَ فِيهِ، وَلَا تُقْبَلُ فِيهِ شَفَاعَةٌ؛ ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وَلَوْ بَذَلَ الْكَافِرُ أَمْوَالَ الدُّنْيَا يُرِيدُ الْفِدْيَةَ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [آل عمران: ٩١]، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ عَدْلٌ، وَهُوَ الْمَالُ الَّذِي يَفْتَدُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَلَا يُقْبَلُ فِيهِمْ شَفَاعَةُ أَحَدٍ، بَلْ هُمْ قَطْعًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ خَالِدُونَ مُخَلَّدُونَ فِيهَا.

www.menhag-un.com

لِلشَّفَاعَةِ شَرْطَانِ

الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ:

* إِذْنُ اللهِ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ.

* الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَشْفُوعُ فِيهِ مِنْ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ.

أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَتَشْفَعُ عِنْدَهُ، وَلَوْ لَمْ يَأْذَنْ لَكَ فِي الشَّفَاعَةِ، وَلَوْ لَمْ يَرْضَ عَنِ الْمَشْفُوعِ فِيهِ، قَدْ يُبْغِضُ الْمَشْفُوعَ فِيهِ، وَيَوَدُّ أَنْ يَقْتُلَهُ أَوْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ، وَلَا يَرْضَىٰ عَنْهُ، وَلَكِنْ يَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ فِيهِ مُضْطَرًّا لِحَاجَتِهِ لِلنَّاسِ وَالْأَعْوَانِ، فَلَوْ رَدَّ شَفَاعَتَهُمْ لَتَنَكَّرُوا عَلَيْهِ، فَهُوَ يَتَأَلَّفُهُمْ، وَيَقْبَلُ شَفَاعَتَهُمْ، وَلَوْ كَانَ لَمْ يَأْذَنْ، وَلَوْ كَانَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْمَشْفُوعِ فِيهِ.

أَمَّا اللهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يُشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا فِي عُصَاةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ.

هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الشَّفَاعَتَيْنِ، وَالشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللهِ حَقٌّ بِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ.

الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: هِيَ الشَّفَاعَةُ فِي الْكُفَّارِ، أَوِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ بِغَيْرِ إِذْنِ اللهِ.

www.menhag-un.com

الشَّفَاعَةُ قِسْمَانِ

الشَّفَاعَةُ: شَفَاعَتَانِ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ:

شَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

وَشَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

جامعة منهاج النبوة www.menhag-un.com

الرَّدُّ عَلَى مُنْكِرِي الشَّفَاعَةِ

قَدْ يَأْتِيكَ مَنْ يَقُولُ: الشَّفَاعَةُ لَا تُقْبَلُ بِدَلِيلِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]!!

فَتَقُولُ: أَنْتَ لَمْ تَسْتَقْرِئْ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مُجْتَزِئٌ، وَهِيَ آفَةٌ تَلْحَقُ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعَوَامِّ وَالْجَهَلَةِ، وَمِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ، وَأَحْيَانًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّهُ يَجْتَزِئُ النُّصُوصَ؛ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ يَأْخُذُ نَصًّا وَاحِدًا فِي الْمَسْأَلَةِ، وَيُرَتِّبُ عَلَيْهِ أَحْكَامًا، وَقَدْ يَكُونُ النَّصُّ مَنْسُوخًا، وَقَدْ يَكُونُ مُخْتَلَفًا فِيهِ، وَقَدْ يَكُونُ مُطْلَقًا لَهُ مَا يُقَيِّدُهُ، وَقَدْ يَكُونُ عَامًّا لَهُ مَا يُخَصِّصُهُ، وَقَدْ يَكُونُ عَامًّا مَخْصُوصًا، وَقَدْ يَكُونُ مُشْكِلًا أَوْ مُجْمَلًا يَحْتَاجُ بَيَانًا، هُنَاكَ قَوَاعِدُ.

فَقَاعِدَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَ النَّظَرِ فِي مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الشَّرْعِ: أَنْ تَجْمَعَ جَمِيعَ مَا وَرَدَ مِنَ النُّصُوصِ فِي الْمَسْأَلَةِ. هَذِهِ أَوَّلُ خُطْوَةٍ.

الْخُطْوَةُ الثَّانِيَةُ: إِذَا كَانَتْ هَذِهِ النُّصُوصُ مِنْ غَيْرِ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يَعْنِي مِنَ الْكِتَابِ وَمِنَ السُّنَّةِ تَنْظُرُ فِي مَا جَاءَ مِنْ نُصُوصِ السُّنَّةِ؛ مِنْ أَجْلِ إِثْبَاتِ الثَّابِتِ، وَتَنْحِيَةِ الدَّخِيلِ، هَذِهِ الْخُطْوَةُ الثَّانِيَةُ.

فَلَا بُدَّ مِنَ اعْتِمَادِ الدَّلِيلِ بَعْدَ جَمْعِهِ وَالْبَحْثِ عَنْهُ، فَيَجْمَعُ الْأَدِلَّةَ الْوَارِدَةَ فِي الْمَسْأَلَةِ، ثُمَّ نَعْتَمِدُ مِنْهَا مَا هُوَ ثَابِتٌ.

ثُمَّ نَذْهَبُ إِلَىٰ الْخُطْوَةِ الثَّالِثَةِ، وَهِيَ: فَهْمُ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ مُتَأَزِرَةً مُتَعَاضِدَةً يَشْرَحُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُفَسِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَلَا نَجْتَزِئُ!

فَبَعْضُ النَّاسِ يَأْخُذُ نَصًّا وَاحِدًا يَأْتِيهِ، وَيُرَتِّبُ عَلَيْهِ حُكْمًا، وَيُحَارِبُ الدُّنْيَا كُلَّهَا، وَيَكُونُ هَذَا النَّصُّ -أَصْلًا يَكُونُ هَذَا النَّصُّ- مُطْلَقًا، وَقَدْ قُيِّدَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ، أَوْ يَكُونُ عَامًّا وَقَدْ خُصِّصَ، وَهُوَ يَأْخُذُ بِالْعَامِّ وَيُحَارِبُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا كَذَا!! عَلَىٰ الْعَيْنِ وَالرَّأْسِ مَا قَالَهُ اللهُ ﷻ، وَلَكِنَّ هَذَا دِينُ اللهِ، وَهُنَاكَ قَاعِدَةٌ هَامَّةٌ أَنَّ الدِّينَ كُلٌّ مُتَكَامِلٌ؛ الْإِسْلَامُ بِعَقِيدَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ كُلٌّ مُتَكَامِلٌ، -لِلتَّقْرِيبِ- كَالْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ كُلُّ عُضْوٍ فِي هَذَا الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ الْحَيِّ لَهُ مَوْضِعُهُ، وَلَهُ أَهَمِّيَّتُهُ، يَعْنِي: هَلْ أَهَمِّيَّةُ الْعَيْنِ كَأَهَمِّيَّةِ الظُّفُرِ؟

هَلْ أَهَمِّيَّةُ الْقَلْبِ كَأَهَمِّيَّةِ الشَّعَرِ؟

لِكُلٍّ أَهَمِّيَّتُهُ وَقَدْرُهُ، وَلِكُلٍّ مَوْضِعُهُ فِي الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ سَوِيًّا مُتَكَامِلًا لَيْسَ شَائِهًا وَلَا مُشَوَّهًا.

الَّذِينَ لَا يُرَاعُونَ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ، وَيَأْتُونَ بِالْأَحْكَامِ عَلَىٰ حَسَبِ أَهْوَائِهِمْ، وَيَضَعُونَ كُلَّ حُكْمٍ فِيمَا تَرَائَىٰ لَهُمْ أَنْ يَضَعُوهُ فِيهِ، هَؤُلَاءِ كَالَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْأَعْضَاءَ فِي الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، فَيَجْعَلُ -مَثَلًا- الْأُذُنَيْنِ فِي

أَعْلَىٰ الرَّأْسِ، وَيَجْعَلُ الْعَيْنَيْنِ فِي الْقَفَا، وَيَجْعَلُ الطَّرَفَيْنِ السُّفْلِيَّيْنِ مَكَانَ الطَّرَفَيْنِ الْعُلْوِيَّيْنِ، وَيَذْهَبُ بِالْعُلْوِيَّيْنِ إِلَىٰ السُّفْلِيَّيْنِ.

تَصَوَّرْ كَائِنًا إِنْسَانِيًّا عَلَىٰ هَذِهِ الصُّورَةِ، مَا يَكُونُ هَذَا؟ وَهَلْ يُؤَدِّي وَظِيفَتَهُ؟

يَعْنِي: إِذَا كَانَ هَذَا الَّذِي يَعْبَثُ بِالشَّرِيعَةِ، وَيَضَعُ النُّصُوصَ فِي غَيْرِ مَحَالِّهَا، وَيُنَزِّلُهَا عَلَىٰ غَيْرِ مَنَازِلِهَا، وَيُقِرُّهَا فِي غَيْرِ مَقَارِّهَا، إِذَا كَانَ هَذَا يَفْعَلُ هَذَا بِالشَّرِيعَةِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَجْعَلُ الصَّدْرَ -مَثَلًا- مَكَانَ الْبَطْنِ!

تَصَوَّرْ أَنْ يَكُونَ صَدْرُ إِنْسَانٍ مَكَانَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَمْشِي هَكَذَا، وَبَطْنُهُ فِي أَعْلَىٰ جِذْعِهِ، أَوْ يَجْعَلُ عَيْنَيْهِ فِي قَفَاهُ، وَهُوَ يَمْشِي بِظَهْرِهِ، فَكَذَلِكَ الَّذِي يَعْبَثُ بِنُصُوصِ الشَّرِيعَةِ، وَيَجْعَلُهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا.

خَطَأٌ كَبِيرٌ، لَيْسَ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ هَذَا مِنَ الْجَهْلِ بِالْعِلْمِ وَبِطَرِيقَتِهِ، وَبِطَرَائِقِ أَهْلِهِ فِي الِاسْتِنْبَاطِ.

www.menhag-un.com

الِاسْتِنْبَاطُ لَهُ رِجَالُهُ

الِاسْتِنْبَاطُ لَهُ رِجَالُهُ؛ ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣]؛ لِأَنَّ هُنَاكَ فَارِقًا كَبِيرًا بَيْنَ الْمُسْتَوَيَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، مُعْظَمُ النَّاسِ مِنَ الْعَوَامِّ لَيْسُوا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ، حَتَّىٰ طُلَّابُ الْعِلْمِ لَأَكْثَرُهُمْ لَيْسُوا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ؛ هَيْئَتُهُمْ أَنَّهُمْ مِنَ الطُّلَّابِ، وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسُوا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ.

طَالِبُ الْعِلْمِ مَنْ عَطَّلَ دُكَّانَهُ، وَخَرَّبَ بُسْتَانَهُ، وَمَاتَ أَقْرَبُ أَهْلِهِ فَلَمْ يَشْهَدْ جَنَازَتَهُ، طَالِبُ الْعِلْمِ مُقْبِلٌ عَلَىٰ الْعِلْمِ بِكُلِّيَّتِهِ، أَنْتَ لَيْسَ مَطْلُوبًا مِنْكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ فَرْضَ عِلْمِ الْكِفَايَةِ؛ لِتَكُونَ عَالِمًا، لِأَنَّ الْأُمَّةَ لَنْ تَكُونَ بِمَجْمُوعِ أَفْرَادِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ، هَذَا لَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ فِي شَيْءٍ، بَلْ ضِدُّ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، نَوَّعَ اللهُ الصَّنَائِعَ، وَنَوَّعَ اللهُ الْحِرَفَ، وَنَوَّعَ اللهُ الِاهْتِمَامَاتِ، بَلْ آتَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ إِنْسَانٍ قُدْرَةً عَلَىٰ شَيْءٍ يُحْسِنُهُ، وَإِذَا مَا اشْتَغَلَ بِمَا يُحْسِنُهُ فَإِنَّهُ يَبْلُغُ فِيهِ الْمَبَالِغَ، وَأَمَّا إِذَا ضَيَّعَ الطَّاقَةَ، وَبَدَّدَ الْقُدْرَةَ الَّتِي آتَاهُ اللهُ فِي طَلَبِ مَا لَا يُحْسِنُهُ، وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْهُ، فَهَذَا مُهْدِرٌ لِعُمْرِهِ، سَفِيهٌ فِي عَقْلِهِ.

وَتَذْكُرُونَ قِصَّةَ الرَّجُلِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْعَرُوضَ، وَوَزْنَ الشِّعْرِ عِنْدَ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ، وَالْخَلِيلُ كَانَ مِنْ أَذْكَىٰ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللهُ، وَكَانَ مُتَجَرِّدًا، كَانَ طُلَّابُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بِعِلْمِهِ.

كَانَ طُلَّابُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بِعِلْمِهِ: يَعْنِي الَّذِي تَعَلَّمُوهُ مِنْهُ، فَيَصِلُونَ إِلَىٰ الْمُلُوكِ، وَيُصَنِّفُونَ الْكُتُبَ، وَإِلَىٰ الْأُمَرَاءِ وَيَحُوذُونَ الدُّنْيَا وَيَتَمَتَّعُونَ.

وَهُوَ؟!

كَانَ يَضَعُ الْكِسْرَةَ مِنَ الْخُبْزِ الْيَابِسِ فِي مَاءِ النَّهْرِ إِدَامًا وَيَأْكُلُهَا، وَلَمْ يَلْتَفِتْ لِدُنْيَا!!

جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ عِلْمَ الْعَرُوضِ، وَكَانَ الرَّجُلُ قَدْ أُغْلِقَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ فِيهِ بِشَيْءٍ، فَظَلَّ عِنْدَ الْخَلِيلِ زَمَنًا، وَالْخَلِيلُ رَجُلٌ حَيِيٌّ لَمْ يَصْرِفْهُ، يَعْنِي: لَمْ يَقُلْ لَهُ: يَا أَخِي اغْرُبْ عَنْ وَجْهِي! أَنْتَ لَنْ تَتَعَلَّمَ شَيْئًا، اصْرِفْ هَمَّكَ لِشَيْءٍ آخَرَ، وَإِنَّمَا جَاءَهُ يَوْمًا بِحِيلَةٍ، وَالرَّجُلُ أَيْضًا كَانَ مُتَجَاوِبًا، فَجَاءَ الْخَلِيلُ فَقَالَ لِلرَّجُلِ: قَطِّعْ لِي هَذَا الْبَيْتَ، يَعْنِي عَلَىٰ حَسَبِ التَّفْعِيلَاتِ.

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَىٰ مَا تَسْتَطِيعُ

فَفَهِمَ الرَّجُلُ فَانْصَرَفَ.

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَىٰ مَا تَسْتَطِيعُ

وَالْعُلَمَاءُ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ الْأَثْبَاتُ الْكِبَارُ مِنَ السَّلَفِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- بَعْضُهُمْ لَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي بَعْضِ الْعُلُومِ حَتَّىٰ مَنْ كَانَ مَوْسُوعِيًّا، وَقَالَ إِنَّهُ بَلَغَ رُتْبَةَ الِاجْتِهَادِ الْمُطْلَقِ؛ السُّيُوطِيُّ -مَثَلًا- قَالَ: لَمْ يُفْتَحْ لِي فِي عِلْمِ الْحِسَابِ، وَجَاءَ عَلَيَّ وَقْتٌ لَنَقْلُ جَبَلٍ مِنْ مَوْضِعِهِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ حَلِّ مَسْأَلَةٍ!!

مَعَ أَنَّ الرِّيَاضِيَّاتِ أَيَّامَ السُّيُوطِيِّ -بِالتَّأْكِيدِ- لَمْ تَكُنْ مُعَقَّدَةً كَمَا هِيَ الْيَوْمَ!

لَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ، بَعْضُهُمْ لَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي النَّحْوِ.. لَا شَيْءَ!!

لَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الْأُصُولِ.. لَا شَيْءَ أَيْضًا!!

بَعْضُهُمْ لَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الْحِفْظِ، وَهُوَ إِمَامٌ؛ كَالْمَحَلِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَمَا تَأْتِيهِ مَسْأَلَةٌ يُرِيدُ حِفْظَهَا إِذَا أَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي حِفْظِهَا انْتَشَرَتْ فِي جَسَدِهِ الثَّآلِيلُ، وَهِيَ الِانْتِفَاخَاتُ الَّتِي تَنْتَفِطُ مِنَ الْجِلْدِ، وَتَكُونُ مَمْلُوءَةً بِالْمَاءِ، كَمَا لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ تَعَرَّضَ لِلنَّارِ، وَلَمْ تُحْرِقْ إِصْبَعَهُ، فَتَظْهَرُ مِنَ الثَّآلِيلِ بَعْضُ تِلْكَ النَّفَّاطَاتِ الَّتِي تَكُونُ مَمْلُوءَةً بِالْمَاءِ مِنْ شِدَّةِ مَا كَانَ يُعَانِي.

فَهَذَا فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ؛ فَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ يُرِيدُ أَنْ يَبْحَثَهَا هُوَ أَنْ يَضَعَ نَفْسَهُ فِي مَوْضِعِهِ.

هُنَاكَ عَوَامُّ -مِثْلُنَا- نَتَعَلَّمُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ مَا نُؤَدِّي بِهِ الْفَرَائِضَ، لَسْنَا بِصَدَدِ مَشَارِيعِ عُلَمَاءَ كِبَارٍ، وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ هَذَا فَلَهُ سَبِيلٌ أُخْرَىٰ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا هَذَا شَيْءٌ آخَرُ، أَمَّا أَنْتَ تَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ الْفَرْضَ الْوَاجِبَ عَلَيْكَ.

لَا تَمُنَّ عَلَىٰ أَحَدٍ بِأَنَّكَ تَتَعَلَّمُ، يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ رَغْمًا عَنْكَ، وَإِلَّا عُذِّبْتَ؛ تَعَلَّمْ: كَيْفَ تَعْتَقِدُ، وَكَيْفَ تُصَلِّي، وَكَيْفَ تَصُومُ، وَكَيْفَ تُزَكِّي، وَكَيْفَ تَحُجُّ، وَكَيْفَ تَتَعَامَلُ بِالدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ إِذَا كُنْتَ مُشْتَغِلًا بِالْمُعَامَلَاتِ الْمَالِيَّةِ مِنَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَإِلَّا أَكَلْتَ الْحَرَامَ صِرْفًا، هَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَهُ إِذَا تَعَلَّمْتَهُ لَا تَمُنَّ عَلَىٰ أَحَدٍ بِأَنَّكَ تَتَعَلَّمُهُ.

هَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَهُ، وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْكِفَايَةِ، أَوْ فَرْضِ الْكِفَايَةِ فَهَذَا شَيْءٌ آخَرُ، تَنْتَظِمُ فِي سِلْكِ طُلَّابِ الْعِلْمِ، وَتَثْنِي رُكْبَتَيْكَ فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ، وَذَلَلْتَ طَالِبًا فَعَزَزْتَ مَطْلُوبًا؛ لِأَنَّ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ مَنْ يَكُونُ قَاسِيَ الطَّبْعِ، وَأَحْيَانًا يَشْتُمُ، وَأَحْيَانًا يَضْرِبُ، أَصْبِرُ عَلَيْهِ؛ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: «ذَلَلْتُ طَالِبًا فَعَزَزْتُ مَطْلُوبًا»، قَالَ: وَلَوْ لَمْ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا كَانَ يَأْتِي مِنْهُ مَا تَعَلَّمْتُ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ يَخْزِنُ عِلْمَهُ عَنْكَ، يَعْنِي أَنْتَ تَتَعَلَّمُ عَلَىٰ شَرْطِ أَنَّكَ عَالِمٌ؟ يَعْنِي: تَجْلِسُ فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ عَلَىٰ أَنَّكَ عَالِمٌ صَاحِبُ مِنَّةٍ، أَمْ أَنَّكَ تَتَعَلَّمُ؟

فَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ أَنْ يَضَعَ نَفْسَهُ فِي مَوْضِعِهِ، أَنْتَ طَالِبُ عِلْمٍ فَلْتَكُنْ عَلَىٰ قَانُونِ طَالِبِ الْعِلْمِ، قَانُونُ طَالِبِ الْعِلْمِ قَاسٍ جِدًّا، وَيَجْعَلُ الْإِنْسَانُ يَصْرِفُ عُمُرَهُ يُفْنِي شَبَابَهُ، وَيَحْنِي ظَهْرَهُ، وَيَشِيبُ شَعْرُهُ، وَيَذْهَبُ بَصَرُهُ، وَلَا يُحَصِّلُ مِنَ اللَّذَّاتِ شَيْئًا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الطَّلَبِ، وَقَدْ يُعْطَىٰ، وَقَدْ لَا يُعْطَىٰ!! قَدْ يُعْطَىٰ وَقَدْ لَا يُعْطَىٰ!! يَعْنِي لَيْسَ شَرْطًا إِذَا فَعَلْتَ هَذَا كُلَّهُ أَنْ تَأْخُذَ مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا

كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ قَالَ: «الْعِلْمُ شَيْءٌ لَا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ حَتَّىٰ تُعْطِيَهُ كُلَّكَ، وَأَنْتَ بَعْدَ إِعْطَاءِ كُلِّكَ إِيَّاهُ مِنْ إِعْطَائِهِ إِيَّاكَ الْبَعْضَ عَلَىٰ خَطَرٍ»!!

يَعْنِي: قَدْ تَأْخُذُ، وَقَدْ لَا تَأْخُذُ، هَذِهِ أُمُورٌ، الْعُلَمَاءُ كَانُوا يُرَبُّونَ الطُّلَّابَ قَبْلَ أَنْ يُعَلِّمُوهُمْ، وَهَذَا غَائِبٌ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَوَقَعَ بِسَبَبِهِ -وَيَقَعُ- كَثِيرٌ جِدًّا مِنَ الْمَشَاكِلِ الَّتِي تَعُودُ فِي النِّهَايَةِ عَلَىٰ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَيَحْتَقِرُهُ الْعَوَامُّ وَالْمَسَاكِينُ وَالْجَهَلَةُ، يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ طُلَّابُ الْعِلْمِ!! يَتَكَلَّمُونَ عَنْهُمْ بِاحْتِقَارٍ وَازْدِرَاءٍ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ سَبَقَ التَّرْبِيَةَ، وَالْأَصْلُ: أَنَّ التَّرْبِيَةَ تَسْبِقُ الْعِلْمَ؛ لِذَلِكَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَىٰ آدَابِ الطَّلَبِ فِي اخْتِيَارِ الشَّيْخِ تَقُولُ: إِنَّ الشَّيْخَ الْأَتْقَىٰ الْأَوْرَعَ أَنْفَعُ لَكَ وَأَجْنَىٰ عَلَيْكَ مِنَ الْأَعْلَمِ الَّذِي لَا تَقْوَىٰ عِنْدَهُ وَلَا وَرَعَ؛ لِأَنَّكَ سَتَسْتَفِيدُ مِنْهُ، مِنْ سَمْتِهِ، مِنْ حَرَكَةِ حَيَاتِهِ مِنْ مُعَامَلَاتِهِ، وَهَذِهِ هِيَ الْفَائِدَةُ الْمَطْلُوبَةُ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ فَائِدَتُهُ الْعَمَلُ.

يَعْنِي لِمَاذَا تَتَعَلَّمُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَرْتَفِعَ إِلَيْنَا أَبْصَارُ النَّاسِ؟ مِنْ أَجْلِ أَنْ نُنَاظِرَ هَذَا وَنَغْلِبَهُ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ نُحَارِبَ وَنَهْزِمَهُ؟!

لَا، إِنَّمَا نَتَعَلَّمُ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَعْمَلَ؛ فَالَّذِي يُفِيدُكَ فِي هَذَا التَّقِيُّ الْوَرِعُ، فَكَانُوا يَحْرِصُونَ عَلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ؛ لِأَنَّ فِيهَا تَرْبِيَةً قَبْلَ التَّعْلِيمِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي بِهِ النَّجَاةُ مِنْ أَزْمَةِ التَّعَلُّمِ.

فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَالِمٌ يُؤْتَىٰ بِهِ، يُعَرِّفُهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِ، فَيَعْرِفُهَا يَقُولُ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟

يَقُولُ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ؛ لِأَجْلِكَ.

يَقُولُ: كَذَبْتَ؛ إِنَّمَا تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتَهُ؛ لِكَيْ يُقَالَ: عَالِمٌ.

ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيُسْحَبُ عَلَىٰ وَجْهِ حَتَّىٰ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ!!

أَمْرٌ كَبِيرٌ، وَمَسْئُولِيَّةٌ خِطَيرَةٌ.

فَالْإِنْسَانُ يُحَرِّرُ قَصْدَهُ أَنْ يَأْتِيَ: أَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا -اللهُ الْمُسْتَعَانُ- وَفَّقَكَ اللهُ لِكُلِّ خَيْرٍ، اسْلُكِ السَّبِيلَ بِالنِّيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ أَيَّ إِنْسَانٍ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْحِرَفِ وَالصِّنَاعَاتِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِشَيْءٍ تَسْعَدُ بِهِ نَفْسُهُ وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ حَتَّىٰ يَبْذُلَ الْمَجْهُودَ، فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْتَ تَرَىٰ بِعَيْنَيْكَ.

أَلَا تَرَىٰ الصَّبِيَّ الصَّغِيرَ يُلْقِي بِهِ أَبُوهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُعَلِّمَهُ، أَوْ لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ تَعْلِيمِهِ، أَوْ يَئِسَ مِنْ تَعْلِيمِهِ، فَيُلْقِي بِهَذَا الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ بَيْنَ يَدَيِ الَّذِي يَقُومُ عَلَىٰ إِصْلَاحِ السَّيَّارَاتِ -مَثَلًا- مِمَّنْ يُقَالُ لَهُ: الْمِيكَانِيكِيُّ، فَيَسُومُهُ سُوءَ الْعَذَابِ؟!

وَإِذَا رَأَيْتَ هَذَا الصَّبِيَّ فِي مَرَاحِلِ التَّعَلُّمِ الْأُولَىٰ لَا تَكَادُ تُمَيِّزُ شَكْلَهُ مِنَ الشَّحْمِ وَالسَّوَادِ، وَالزَّيْتِ، وَالْهِبَابِ!!!

لَا تَكَادُ تُمَيِّزُهُ!!!

وَأَبُوهُ يَمُرُّ عَلَيْهِ، وَيَسْعَدُ فِي قَلْبِهِ أَنَّهُ يَتَقَدَّمُ، وَلَكِنْ سَيَبْقَىٰ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ؟!

لَا، بَعْدَ حِينٍ، وَعِنْدَمَا يَتَعَلَّمُ وَتَرْتَقِي بِهِ حَالُ التَّعَلُّمِ، يَجْلِسُ عَلَىٰ الدِّكَّةِ، وَيُشَغِّلُ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ، وَصَارَ مُعَلِّمًا... هَذَا فِي كُلِّ الْحِرَفِ.

فِي كُلِّ شَيْءٍ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ تِلْمِيذًا، أَنْ تَكُونَ طَالِبًا، وَلَكَ قَانُونٌ فِي الطَّلَبِ فِي مَرْحَلَةِ التَّلْمَذَةِ، أَنْتَ تِلْمِيذٌ!!

إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ فِي مَرْحَلَةِ التَّلْمَذَةِ شَيْخًا!!

وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحْدُثُ مِنَ الْخَلَلِ فِي السَّاحَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَبِسَبَبِهِ هَذِهِ الْفَوْضَىٰ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي تَرَاهَا، كُلُّ مَنْ أَقْبَلَ عَلَىٰ الْعِلْمِ صَارَ عَالِمًا، وَيُسْتَفْتَىٰ، وَالْجُهَّالُ مِنَ الْعَوَامِّ مَسَاكِينُ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَأْخُذَ الْهَدْيَ الظَّاهِرَ، أَوْ أَنْ يَرَوْهُ يَخْطُبُ فِي الْمَسْجِدِ، أَوْ يَجْلِسُ لِيُعَلِّمَ -بِزَعْمِهِ- يَصِيرُ عَالِمًا عِنْدَهُمْ، وَلَا يُصَدِّقُونَ فِيهِ قَوْلًا.

يَعْنِي: إِذَا أَفْتَىٰ بِفَتْوَىٰ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِمَّنْ لَا يُقِرُّونَ هُمْ لَهُ بِالْعِلْمِ: هَذِهِ الْفَتْوَىٰ خَطَأٌ وَضَرَرٌ، وَالصَّوَابُ كَذَا، وَالدَّلِيلُ كَذَا...

يَقُولُونَ: تَفْهَمُ أَحْسَنَ مِنْ فُلَانٍ؟؟

فَوْضَىٰ عِلْمِيَّةٌ!!

الْأُمَّةُ لَا تَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا هَكَذَا، إِنَّمَا تَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ إِذَا انْضَبَطَ الْعِلْمُ فِي التَّلَقِّي، فِي التَّحَمُّلِ، وَفِي الْأَدَاءِ، وَلَهُ قَوَاعِدُهُ وَضَوَابِطُهُ، طَالِبُ الْعِلْمِ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَهَا.

www.menhag-un.com

فَعِنْدَنَا رَجُلٌ عَامِّيٌّ هَذَا مُطَالَبٌ بِمَا نَجْتَهِدُ نَحْنُ فِيهِ الْآنَ مِنْ أُمُورِ الْعَقِيدَةِ، وَأُمُورِ الْعِبَادَةِ، وَأُمُورِ الْمُعَامَلَةِ وَالْأَخْلَاقِ، كُلُّ مُسْلِمٍ مُطَالَبٌ بِهَذَا.

كُلُّ مُسْلِمٍ مُطَالَبٌ بِأَنْ يَتَعَلَّمَ: كَيْفَ يُصَلِّي، كَيْفَ يَصُومُ، كَيْفَ يَحُجُّ، كَيْفَ يَتَعَامَلُ بِالدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ -إِذَا كَانَ يُتَاجِرُ، أَوْ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي، أَوْ يَهَبُ وَيُؤَجِّرُ وَيُشَارِكُ- إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ التَّعَامُلَاتِ!

كُلُّ مُسْلِمٍ مَطْلُوبٌ مِنْهُ: أَنْ يُحْسِنَ التَّعَامُلَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ!

كُلُّ مُسْلِمٍ مَطْلُوبٌ مِنْهُ حَدٌّ أَدْنَىٰ لَا بُدَّ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَا نُحَاوِلُ نَحْنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ.

إِذَنْ نَحْنُ مِنَ الْعَوَامِّ، لَسْنَا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ، طَالِبُ الْعِلْمِ دَرَجَةٌ أَعْلَىٰ، هَذَا لَا دُنْيَا لَهُ، هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا، وَلَهَا ضَرِيبَتُهَا، كَانُوا يَرْحَلُونَ سِتَّةَ شُهُورٍ؛ مِنْ أَجْلِ حَدِيثٍ وَاحِدٍ، شُعْبَةُ قَالَ: إِنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَطْلُبُ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا الْمَفَالِيسُ، وَيَقُولُ: إِنَّ طَلَبَ الْحَدِيثِ صَنْعَةُ الْمَفَالِيسِ. هُوَ لَا يَذُمُّ، وَلَكِنْ يُحَذِّرُ، يَعْنِي: إِذَا طَلَبْتَ الْعِلْمَ لَا بُدَّ أَنْ يُؤَثِّرَ فِي دُنْيَاكَ، حَتَّىٰ إِذَا كُنْتَ عَالِمًا، وَلَكِنْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ؛ لِأَنَّ الْعَالِمَ إِذَا ذَهَبَ يَشْتَرِي شَيْئًا، فَلَنْ يُسَاوِمَ؛ مُرُوءَتُهُ الْعِلْمِيَّةُ، وَمَا أَقَامَهُ اللهُ فِيهِ يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُشَاكِسَ، وَأَنْ يُعَاكِسَ فَمَا يُعْطِيهِ الْبَائِعُ يَأْخُذُهُ، وَلَوْ كَانَ ظَاهِرَ الْغَبْنِ فِيهِ، وَهِيَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَىٰ فَقْرِ الْعُلَمَاءِ،

كَمَا قَرَّرَهُ ابْنُ خَلْدُونَ فِي «الْمُقَدِّمَةِ»، فَقَالَ: لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءَ عِنْدَهُمْ مُرُوءَةٌ، وَلَا نَذْهَبُ إِلَىٰ التَّاجِرِ مِنْ نِسَاءٍ أَوْ مِنْ رِجَالٍ، وَيَقُولُ لَهُ: حِزْمَةُ الْفِجْلِ هَذِهِ بِكَذَا. يَقُولُ لَهُ: اتَّقِ اللهَ!! إِنَّ الْفِجْلَ مَبْذُولٌ عَلَىٰ قَوَارِعِ الطُّرُقِ، فَلِمَاذَا تُغَالِي؟ وَأَنَا إِذَا أَخَذْتُهُ مِنْكَ الْآنَ، وَذَهَبْتُ إِلَىٰ الْحَاكِمِ عَذَّرَكَ، فَأَنْتِ تَغْبِنُ!

الْعَالِمُ سَيَقُولُ هَذَا؟!!!

إِمَّا أَنْ يَأْخُذَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصَرِفَ.

فَلَهَا مَسْئُولِيَّةٌ، يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْ تَرْكِ الْمَلَاذِّ، وَلَا بُدَّ مِنْ رِعَايَةِ الْمُرُوءَةِ.

طَالِبُ الْعِلْمِ يُطَالَبُ بِمَا لَا يُطَالَبُ بِهِ الْعَامِّيُّ، يَعْنِي: كَانَ قَدِيمًا -مَثَلًا- لَوْ أَنَّ طَالِبَ عِلْمٍ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ يَمْشِي حَاسِرَ الرَّأْسِ فِي الشَّارِعِ، أَوْ يَحْضُرُ مَجْلِسَ عِلْمٍ وَهُوَ حَاسِرُ رَأْسٍ، فَهَذَا تَسْقُطُ مُرُوءَتُهُ؛ يَقُولُونَ: إِذَا جَاءَ يُحَدِّثُ لَا نَقْبَلُ مِنْهُ؛ لَيْسَتْ عِنْدَهُ أَهْلِيَّةُ الْأَدَاءِ!

هُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ عَلَىٰ أَيِّ هَيْئَةٍ، طَالَمَا كَانَ سَاتِرًا لِلْعَوْرَةِ، حَتَّىٰ الْكَافِرُ لَا نَمْنَعُهُ مِنْ حُضُورِ مَجْلِسِ الْعِلْمِ، الْكَافِرُ أَهْلٌ لِأَنْ يَتَحَمَّلَ، وَلَيْسَ بِأَهْلٍ لِأَنْ يُؤَدِّيَ؛ الْأَدَاءُ مَسْئُولِيَّةٌ كَبِيرَةٌ؛ لِأَنَّكَ سَتُؤَدِّي دِينَ اللهِ، أَمَّا أَنْ يَتَحَمَّلَ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ، أَنْ يَسْأَلَ حَتَّىٰ يَهْتَدِيَ إِلَىٰ الْحَقِّ فَلَا يُصَدُّ أَحَدٌ عَنْ مَجَالِسِ الْعِلْمِ، وَلَا عَنْ طَلَبِهِ، -وَلَوْ كَانَ كَافِرًا-، وَلَكِنْ إِذَا حَمَلَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ، وَأَرَادَ أَنْ يُؤَدِّيَهُ نَقُولُ: لَا نَأْخُذُ مِنْهُ، الْكَافِرُ لَا يُؤَدِّي الْعِلْمَ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ، وَالْفَاسِقُ

كَذَلِكَ، وَكَانُوا يُحَاسِبُونَ طُلَّابَ الْعِلْمِ وَالرُّوَاةَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَىٰ أُمُورٍ لَا يُحَاسَبُ عَلَيْهَا غَيْرُهُمْ.

يَعْنِي: شُعْبَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ رَدَّ رَاوِيًا، قَالَ: لَا يُحْمَلُ عَنْهُ. فَقَالُوا: مَا جَرْحُهُ؟ يَعْنِي: لِمَاذَا تَجْرَحُهُ؟ يَعْنِي: لِمَاذَا هُوَ غَيْرُ عَدْلٍ عِنْدَكَ؟ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَرْكَبُ بِرْذَوْنًا يَجْرِي بِهِ مِلْءَ فُرُوجِهِ!

مَا فِي هَذَا يَعْنِي؟

لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا رَكِبَ بَغْلًا أَوْ حِمَارًا أَوْ فَرَسًا، وَجَرَىٰ بِهِ بِأَقْصَىٰ سُرْعَتِهِ، هَذَا يُؤَثِّرُ فِيهِ؟ قَالَ: لَا. هَذَا عِنْدِي سَاقِطُ الْمُرُوءَةِ... لَا مُرُوءَةَ عِنْدَهُ، وَلَا أَحْمِلُ عَنْهُ الْحَدِيثَ، وَلَا يُحْمَلُ عَنْهُ، وَيُحْذَرُ مِنْهُ!

بَلْ بَعْضُهُمْ قَالَ: لَا أَحْمِلُ عَنْ فُلَانٍ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَاذَا؟ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَبُولُ قَائِمًا. قَالُوا: وَمَا فِي هَذَا؟ قَالَ: أَرَىٰ رَشَاشَ الْبَوْلِ يَرْتَدُّ عَلَىٰ ثَوْبِهِ، أَوْ عَلَىٰ رِجْلَيْهِ. قَالُوا: يَغْسِلُهُ. قَالَ: لَا أُرَاهُ يَغْسِلُهُ!!

لَا يَسْمَحُونَ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا عَلَىٰ قَوَارِعِ الطُّرُقِ، وَلَا أَنْ يَشْرَبُوا هَكَذَا وُقُوفًا بَيْنَ النَّاسِ، عِلْمٌ لَهُ احْتِرَامُهُ، إِنْ لَمْ تَحْتَرِمْهُ لَمْ يَحْتَرِمْكَ، لَنْ يَحْتَرِمَكَ وَلَنْ يَحْتَرِمَكَ أَحَدٌ؛ لِأَنَّكَ تُهِينُهُ، وَإِذَا أَهَنْتَ الْعَزِيزَ أُهِنْتَ، وَالْعِلْمُ أَعَزُّ عَزِيزٍ مَنَحَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْخَلْقِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، الْأَمْرُ لَهُ ضَوَابِطُ حَاكِمَةٌ، وَهَذَا فِي كُلِّ شَيْءٍ. تَعْرِفُ كَانَ النَّاسُ قَدِيمًا إِذَا أَرَادَ طَالِبٌ أَنْ يَتَعَلَّمَ الطِّبَّ قَامُوا بِالتَّحَرِّيَاتِ عَنْهُ، يُتَحَرَّىٰ عَنْهُ مِنْ جِهَاتٍ سِرِّيَّةٍ: أَهْلُهُ.. أَبُوهُ.. أُمُّهُ.. عَمُّهُ.. عَائِلَتُهُ.. مُسْتَوَاهُ الِاجْتِمَاعِيُّ.. أَخْلَاقُهُ.. طَرِيقَتُهُ؛ سَيَدْرُسُ الطِّبَّ!!

يَعْنِي: لَنْ يَكُونَ فِي مَوْقِعٍ مُتَنَفِّذٍ يَحْكُمُ فِيهِ فِي النَّاسِ، وَإِنَّمَا فِي الطِّبِّ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الطِّبَّ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ رِعَايَةِ الْأَسْرَارِ، الطِّبُّ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ رِعَايَةِ الْأَسْرَارِ، يَعْنِي: لَوِ اضْطُرَّتِ ابْنَةُ مُسْلِمٍ أَنْ تُعَالَجَ عِنْدَ طَبِيبٍ مُسْلِمٍ أَبُوهَا يَذْهَبُ بِهَا، وَيُدْخِلُهَا عَلَىٰ الطَّبِيبِ، وَتَدْخُلُ مَعَهَا أُمُّهَا.. أُخْتُهَا، أَبُوهَا لَا يَدْخُلُ، وَالطَّبِيبُ يُبَاشِرُ مِنْهَا مَا لَا يُبَاشِرُهُ أَبُوهَا؛ فَالطِّبُّ صَنْعَةٌ مِنْ أَجَلِّ الصِّنَاعَاتِ.

لِذَلِكَ قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْكُنَ فِي بَلَدٍ لَيْسَ فِيهَا فَقِيهٌ وَلَا طَبِيبٌ، فَأَمَّا الْفَقِيهُ فَلِرِعَايَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَمَّا الطَّبِيبُ فَلِرِعَايَةِ الْأَبْدَانِ وَالْأَجْسَادِ.

فَهَذِهِ أُمُورٌ -حَتَّىٰ فِي الصِّنَاعَاتِ- لَهَا نِظَامٌ.

وَأَمَّا الْعِلْمُ فَكُلُّ أَحَدٍ يَدْخُلُ عَلَىٰ الْعِلْمِ! ادْخُلْ مَا شِئْتَ، لَكِنْ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا، أَوْ تُؤَدِّيَ الْعِلْمَ الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ مِنْ غَيْرِ مُرُوءَةٍ، وَلَا أَخْلَاقٍ؟! مَمْنُوعٌ، وَلَا يُحْمَلُ مِنْكَ.

لِذَلِكَ قَالُوا قَدِيمًا: لَا تُعَلِّمُوا أَوْلَادَ السِّفْلَةِ الْعِلْمَ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ أُصُولٌ تَحْكُمُهُمْ، فَبَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَخْدِمُونَ الْعِلْمَ فِي تَحْصِيلِ الدُّنْيَا، وَمُحَارَبَةِ الدِّينِ، وَالِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ خَلْقِ اللهِ الصَّالِحِينَ، وَالْإِتْيَانِ بِالْفَتَاوَىٰ الَّتِي لَا مُسْتَنَدَ لَهَا لَا مِنْ كِتَابٍ وَلَا مِنْ سُنَّةٍ، وَلَا أَثَارَةٍ مِنْ صَحَابِيٍّ وَلَا تَابِعِيٍّ.

أَمْرٌ جَلِيلٌ!! وَأَنْتَ تَكُونُ إِذَا كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مُؤْتَمَنًا عَلَىٰ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْبَلَاغِ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

نَبِيُّنَا لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، فَمَنِ الْوَاسِطَةُ فِي الْبَلَاغِ، وَتَبْلِيغِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ الْأُمَّةِ؟

الْعُلَمَاءُ؛ فَهُمْ يَقُومُونَ بِرِسَالَةِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْعَالِمُ فَاسِقًا؟ أَنْ يَكُونَ فَاجِرًا؟ أَنْ يَكُونَ مُتَهَتِّكًا؟ أَنْ يَكُونَ مِهْزَارًا؟ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ ذِي مُرُوءَةٍ؟ هَلْ يَكُونُ هَذَا عَالِمًا؟ وَكَيْفَ يُحْتَرَمُ؟ وَكَيْفَ يُقْبَلُ مِنْهُ؟!!

وَكَذَلِكَ طَالِبُ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعَالِمَ يُرَبِّيهِ عَلَىٰ هَذَا، وَيَأْطُرُهُ عَلَيْهِ أَطْرًا، وَارْجِعُوا إِلَىٰ كُتُبِ سَلَفِكُمْ، كَيْفَ رَبَّوْا طُلَّابَهُمْ حَتَّىٰ صَارُوا عُلَمَاءَ، وَصَارَتِ الْمَسِيرَةُ الْعِلْمِيَّةُ إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا، وَلَكِنَّهَا انْحَرَفَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ انْحِرَافًا بَلِيغًا، فَتَهَجَّمَ عَلَىٰ الْعِلْمِ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، وَوَقَعَتْ فَوْضَىٰ عِلْمِيَّةٌ، حَتَّىٰ إِنَّكَ لَا تَجِدُ اثْنَيْنِ يُجْمِعَانِ عَلَىٰ قَوْلٍ وَاحِدٍ فِي مَسْأَلَةٍ؛ لِمَاذَا؟

لِأَنَّكَ عِنْدَكَ عَامِّيٌّ.. طَالِبُ عِلْمٍ.. عَالِمٌ.. مُفْتٍ، لَيْسَ كُلُّ عَالِمٍ بِمُفْتٍ -أَنَا لَا أَقْصِدُ الْمَنْصِبَ الرَّسْمِيَّ-، وَلَكِنْ مَنْصِبَ الْإِفْتَاءِ عُمُومًا، لَيْسَ كُلُّ عَالِمٍ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مُفْتِيًا، الْمُفْتِي أَوِ الْقَاضِي الَّذِي يَفْصِلُ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مَنْصِبٌ لَهُ أَهْلِيَّةٌ خَاصَّةٌ، فَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ هُوَ عَالِمٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْعِلْمِ، وَيُؤَدِّي مَا عَلِمَهُ، وَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا، وَلَا تَثْرِيبَ عَلَيْهِ، لَكِنْ أَنْ يَكُونَ مُفْتِيًا يَفْصِلُ فِي الْأَحْكَامِ، وَيَتَكَلَّمُ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، هَذَا لَهُ رِجَالُهُ أَعْلَىٰ مِنْ هَذَا، وَالصَّفْوَةُ مِنْهُمْ أَهْلُ الِاسْتِنْبَاطِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي النَّوَازِلِ: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، وَلَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ -فِي سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ- وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ النَّاسُ: إِنَّ النَّبِيَّ طَلَّقَ النِّسَاءَ، وَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ كَثِيرٍ نَزَلَتِ الْآيَةُ: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

فَالَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ: أَيْ: مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ الْأَحْكَامِ عِنْدَ نُزُولِ النَّازِلَةِ، كَمَا هِيَ النَّوَازِلُ الْعَظِيمَةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ لَهَا رِجَالُهَا، لَا يَتَكَلَّمُ فِيهَا كُلُّ أَحَدٍ، الْآنَ يَتَكَلَّمُ فِي النَّازِلَةِ كُلُّ مَنْ مَلَكَ لِسَانًا، نَصْنَعُ كَذَا وَلَا نَصْنَعُ كَذَا، كَالنَّازِلَةِ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْأُمَّةِ الْآنَ مِنْ أَعْدَائِهَا، وَمِنْ تَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، وَمِنْ مُحَاوَلَةِ إِنْفَاذِ الْمُخَطَّطِ بِمَدِّ الْخَطِّ إِلَىٰ مُنْتَهَاهُ؛ لِتَحْقِيقِ الْوَعْدِ التَّوْرَاتِيِّ الْمَكْذُوبِ مِنْ إِلَهِهِمْ لَهُمْ بِالْأَرْضِ وَالنَّاسِ وَالْمَذَلَّةِ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يَكُونَ جَمِيعُ الْأُمَمِيِّينَ أَوِ الْجُوييم أَوِ الْأُمِّيِّينَ فِي مُصْطَلَحِ الْيَهُودِ، أَنْ يَكُونُوا كَالْكِلَابِ عَلَىٰ مَائِدَةِ الْيَهُودِ يَقُولُونَ: خُلِقَ النَّاسُ جَمِيعًا دُونَ الْيَهُودِ؛ لِخِدْمَةِ الْيَهُودِ، كَمَا يَحْدُثُ الْآنَ فِي الْأُرْدُنِّ.

مَنِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِي مِثْلِ هَذِهِ النَّوَازِلِ؟

كُلُّ مَنْ مَلَكَ لِسَانًا يَتَكَلَّمُ فِي أَيِّ شَيْءٍ، إِنَّهُمْ يُهَيِّجُونَ النَّاسَ، يَأْتُونَ بِالْمُذِيعِينَ مِنْ أَصْحَابِ التَّوَجُّهَاتِ الْبَاطِلَةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُهَيِّجُوا النَّاسَ، وَالْإِعْلَامُ يَصِلُ إِلَىٰ كُلِّ بَيْتٍ، وَيُخْرِجُوا الْمَسَاكِينَ مِنَ الْعَوَامِّ لِلْغَلَاءِ، وَارْتِفَاعِ الْأَسْعَارِ، وَبَعْضِ الْمُعَانَاةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُخَرِّبُوا دُورَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ، وَيُبَدِّدُوا ثَرْوَاتِهِمْ، وَيُحِلُّوا الْعَدُوَّ فِي دِيَارِهِمْ، هَلْ هُنَاكَ عَاقِلٌ.. عَاقِلٌ -فَضْلًا عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا، فَضْلًا عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ مُتَمَسِّكًا بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يَتَمَنَّىٰ أَوْ يَقْبَلُ أَنْ يَقَعَ اضْطِرَابٌ فِي الْأُرْدُنِّ -خَاصَّةً- وَهِيَ عَلَىٰ خَطِّ الْمُوَاجَهَةِ الْأَوَّلِ، وَمَعْلُومٌ عَلَىٰ أَنَّهُ عَلَىٰ حَسَبِ الْمُعَاهَدَاتِ الْقَدِيمَةِ، فَالْأُرْدُنُّ يُشْرِفُ عَلَىٰ الْمُقَدَّسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي فِلَسْطِينَ تَحْتَ الِاحْتِلَالِ، فَيُرِيدُونَ قَطْعَ الصِّلَةِ مِنْ أَجْلِ ضَمِّ الضِّفَّةِ إِلَىٰ الْيَهُودِ، وَكَذَلِكَ ضَمِّ غَزَّةَ إِلَىٰ الْيَهُودِ، أَوْ تَرْكِ غَزَّةَ مَعَ التَّوَسُّعِ فِي صَحْرَاءِ سَيْنَاءَ؛ لِإِنْشَاءِ مَا يُسَمَّىٰ بِغَزَّةَ الْكُبْرَىٰ، وَوَضْعِ الْيَدِ عَلَىٰ أَرْضِ الْمِيعَادِ، فَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا لَا يَصِحُّ أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِيهِ، فَضَعْ نَفْسَكَ مَوْضِعًا، وَاسْأَلْ رَبَّكَ الزِّيَادَةَ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا أَجْمَعِينَ.

إِذَنِ الْقُرْآنُ لَا يَضْرِبُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ آيَاتٍ فِي الشَّفَاعَةِ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

ائْتِ بِبَقِيَّةِ الْآيَاتِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

شَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ، وَشَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ:

فَالْمَنْفِيَّةُ: لَهَا وَجْهٌ فِي الْكُفَّارِ، وَمَنْ لَمْ يَأْذَنِ اللهُ بِالشَّفَاعَةِ فِيهِ.

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: لَهَا وَجْهٌ فِيمَنْ يَأْذَنُ اللهُ ﷻ لِمَنْ شَاءَ مِنَ الشَّافِعِينَ أَنْ يَشْفَعُوا فِيهِ.

مُثْبَتَةٌ، وَمَنْفِيَّةٌ، وَالْجِهَةُ مُنْفَكَّةٌ كَمَا يَقُولُ الْمَنَاطِقَةُ، وَالْقُرْآنُ لَا يُضْرَبُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: شَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ، وَشَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ.

النَّبِيُّ ﷺ لَهُ شَفَاعَاتٌ.

وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ: لَهُ شَفَاعَاتٌ خَاصَّةٌ بِهِ، وَشَفَاعَاتٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

www.menhag-un.com

مِنَ الشَّفَاعَاتِ الْخَاصَّةِ بِالنَّبِيِّ ﷺ

شَفَاعَاتٌ خَاصَّةٌ بِرَسُولِ اللهِ:

أَوَّلُهَا: الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَىٰ: يَشْفَعُ فِي الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الشَّفَاعَةَ الْعُظْمَىٰ حِينَمَا يَطُولُ الْمَوْقِفُ وَالْحَشْرُ عَلَىٰ النَّاسِ، وَهُمْ وُقُوفٌ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ، شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ، حُفَاةً عُرَاةً تَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فَيَتَقَدَّمُونَ، يَذْهَبُونَ إِلَىٰ آدَمَ، فَيُحِيلُهُمْ عَلَىٰ نُوحٍ، وَيُحِيلُهُمْ نُوحٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَيُحِيلُهُمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ، وَمُوسَىٰ يُحِيلُهُمْ عَلَىٰ عِيسَىٰ، وَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ وَيَقُولُونَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»، وَيَدُلُّهُمْ عِيسَىٰ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ فَيَقُولُ: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا، يَسْجُدُ ﷺ عِنْدَ الْعَرْشِ، وَيَحْمَدُ اللهَ وَيَدْعُوهُ، وَيَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ، يَقُولُ: لَا أَعْلَمُهَا الْآنَ**»، -وَإِنَّمَا يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ- حَتَّىٰ يَأْذَنَ لَهُ اللهُ: «**يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**».

فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ أَنْ يَبْدَأَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي حِسَابِهِمْ، وَالْفَصْلِ بَيْنَهُمْ، وَهَذَا هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهَذَا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ إِلَّا لِرَسُولِ اللهِ، يَغْبِطُهُ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، آدَمُ يَتَنَحَّىٰ، وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، وَالنَّبِيُّ يَقُولُ: «**أَنَا لَهَا.. أَنَا لَهَا**».

الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: خَاصَّةٌ أَيْضًا: شَفَاعَتُهُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا جَاءُوا إِلَىٰ الْجَنَّةِ لَا يُفْتَحُ لَهُمْ عَلَىٰ الْفَوْرِ، فَيَسْتَشْفِعُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي فَتْحِ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

شَفَاعَتُهُ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ -مَعَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لَا تَنْفَعُ الْكَافِرِينَ-، وَلَكِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقْبَلُ شَفَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ كَافِرٌ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْهُ، لَا فِي إِخْرَاجِهِ مِنَ النَّارِ، كَمَا مَرَّ فِي وَصْفِ مَا هُوَ عَلَيْهِ.

النَّبِيُّ ﷺ لَهُ شَفَاعَاتٌ خَاصَّةٌ، وَشَفَاعَاتٌ يَشْتَرِكُ فِيهَا مَعَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ: يَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ لَا يَدْخُلُهَا أَصْلًا، وَيَقْبَلُ اللهُ تَعَالَىٰ شَفَاعَتَهُ، وَهَذِهِ شَفَاعَةٌ عَامَّةٌ تَكُونُ لِلْمَلَائِكَةِ وَتَكُونُ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَتَكُونُ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَنَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَأَنْ يَرْحَمَنَا.

www.menhag-un.com

الرَّدُّ عَلَى مَنْ يَمْنَعُ الْأَخْذَ بِأَحَادِيثِ الْآحَادِ فِي الْعَقَائِدِ

ثُمَّ ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِك عَذَابَ الْقَبْرِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ مُوَضَّحٌ: الْأَدِلَّةُ عَلَيْهِ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

فِي هَذَا الْعَصْرِ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ: لَيْسَ فِي الْقَبْرِ نَعِيمٌ وَلَا عَذَابٌ، وَقَدْ تَرَىٰ بَعْضَهُمْ وَيُكَلِّمُكَ، وَيَقُولُ: لَيْسَ فِي الْقَبْرِ نَعِيمٌ وَلَا عَذَابٌ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ -فِي هَذَا الْعَصْرِ وَقَبْلَهُ- يَقُولُونَ: لَيْسَ فِي الْقَبْرِ نَعِيمٌ وَلَا عَذَابٌ؛ حُجَّتُهُمْ أَنَّ هَذَا مِنْ أُمُورِ الِاعْتِقَادِ، وَمِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ، وَهِيَ عِنْدَهُمْ لَا تَثْبُتُ إِلَّا بِالدَّلِيلِ الْمُتَوَاتِرِ، لَا تَثْبُتُ بِأَحَادِيثِ الْآحَادِ، فَرَدُّوا جُمْلَةً كَبِيرَةً مِنَ الْعَقَائِدِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ سَلَفًا وَخَلَفًا؛ بِسَبَبِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ الْبَاطِلَةِ.

فَيَقُولُ: الْحَدِيثُ لَيْسَ بِمُتَوَاتِرٍ، فَلَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ اعْتِقَادٌ، وَالْعُلَمَاءُ مُجْمِعُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ قَدِيمٍ عَلَىٰ أَنَّ أَحَادِيثَ الْآحَادِ يُؤْخَذُ بِهَا فِي الْعَقَائِدِ، كَمَا يُؤْخَذُ بِهَا فِي الْأَحْكَامِ، فَقَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ بِأَنَّ فِي الْقَبْرِ نَعِيمًا أَوْ عَذَابًا، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: عِنْدَنَا دَلِيلٌ مِنَ الْكِتَابِ، وَهُوَ الْآيَةُ الَّتِي فِي آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [غافر: ٤٦].

إِذَنْ: هَذَا الْعَرْضُ فِي الْغُدُوِّ وَالْعَشِيِّ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَيَقُولُ: هَذَا صَحِيحٌ غَيْرُ صَرِيحٍ فَإِذَا جِيءَ لَهُ بِصَحِيحٍ قَالَ: هَذَا صَحِيحٌ غَيْرُ صَرِيحٍ، وَإِذَا جِيءَ لَهُ بِصَرِيحٍ قَالَ: صَرِيحٌ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَالْعُلَمَاءُ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا.

إِذَنْ: مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَالْأَحَادِيثُ فِيهَا كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَوَاضِحَةٌ جِدًّا: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**»، وَمِنْهُ: «**إِذَا انْصَرَفَ آتَاهُ مَلَكَانِ، فَيُقْعِدَانِهِ وَيَقُولَانِ:....**» الْحَدِيثَ الَّذِي مَرَّ، «**وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ يَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ.**

فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ» يَعْنِي: الْإِنْسَ وَالْجِنَّ.

فَعَذَابُ الْقَبْرِ ثَابِتٌ بِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَبِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَلَا عِبْرَةَ بِمَا يَقُولُ.

نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَرْحَمَنَا دُنْيَا وَآخِرَةً، وَأَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com